مجلة حقوق الإنسان والحريات العامة
(م.ح.إ.ح.ع)

المجلد: 07– العدد: 01سنة: 2022
ص: من267إلى299

المواطن في عصر الفضاء السيبراني: دراسة نقدية لأنماط وحدود التفاعل في المجتمعات الافتراضية

Citizen in the age of cyberspace: a critical study of patterns and limits of interaction in virtual societies

بوعلام حمو*

جامعة عبد الحميد بن باديس. مستغانم.

hamou.boualem@univ-mosta.dz

تاريخ الاستلام: 2022/03/04 -تاريخ القبول: 2022/04/11 -تاريخ النشر: 2022/06/01

الملخص:

أوجدت شبكة الويب العالمية وضعية غير مسبوقة من الاستقطاب في شكل موجات نحو بيئات افتراضية، نجحت بدورها في تقديم عروض وحلول اتصالية ناجعة لإعادة هندسة تفاعل أفراد المجتمع بمرونة عالية، وبارتباط افتراضي عالي التعقيد، ولامتناهي في التوسع. هذا الاقتران بين تقنيات المعلومات والاتصالات وتفضيلات البشر انتج فعليا فضاءات اتصالية هجينة بين ما هو افتراضي وما هو حقيقي على كل المستويات، كما نجح بشكل غير مسبوق في انتاج هويات جديدة، بقيم وتفضيلات وانتماءات جديدة، وحتى لغات مختصرة ورموز، وحتى شعور بالانتماء المشترك لتلك المساحات ذاتية التنظيم القائمة على الارتباط الافتراضي، التي يطلق عليها بالمجتمعات الافتراضية.

**المؤلف المرسل: بوعلام حمو*

الكلمات المفتاحية: شبكة الويب العالمية؛ المجتمعات الافتراضية؛ المواطن الشبكي؛ الفضاء السيبراني؛ الفضاء العام الافتراضي.

Abstract:

The World Wide Web has created an unprecedented state of polarization in the form of waves Toward virtual environments, which have successfully delivered Effective Communication Offers to re-engineer the ever-expanding, complex virtual connection with high flexibility in the interaction of individuals and communities. This combination of Information and Communication Technology and human preferences has produced hybrid communication spaces between what is virtual and what is real at all levels, and has succeeded, more than ever, in producing new identities, new values, preferences, new affiliations, short languages, symbols, and even a sense of common belonging to these self-organizing virtual relational spaces called virtual communities.

Keywords: World Wide Web, Virtual Communities, Network Citizen, Cyberspace, virtual public space.

مقدمة

تمثل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في المجتمع الحديث فضاء غير تقليدي لإعادة انتاج أشكال جديدة من الارتباط الاجتماعي، وانتاج ثقافات وخبرات متعددة يتم تشاركها على نطاق واسع. لقد استطاعت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في ظرف قصير من إضافة أبعاد جديدة لمفهوم العيش المشترك مكنت البشرية من خلالها اقتصار الوقت والمكان بمنظور غير متزامن

لتحقيق الراحة والرفاهية في العيش. هذه الحلول المرشحة بقوة لتسهيل تعقيدات العيش المشترك مثلت أيضا في نفس الوقت قواعد ومساطر للعمل الجماعي. لذلك من الطبيعي أن تؤسس التكنولوجيات السائدة في المجتمعات ضمانات قوية لاستقرارها، وتسمح بإزالة الحواجز التي تحول دون توسيع العلاقات الاجتماعية فيها. ولكن في نفس الوقت كثيرا ما وقفت المجتمعات موقف الشك والريبة من أي تحسينات في التكنولوجيا ذاتها، وتوجست من آثارها على الأبعاد والقيم التي تشكل العيش المشترك ووضعية الفرد كمواطن.

نجحت شبكة الويب العالمية كتقنية معلومات واتصال غير تقليدية في تغير مواقف البشر وممارساتهم اليومية، بإنشائها ممارسات جديدة، كما استطاعت تحفيز الرابط الاجتماعي والاقتصادي والسياسي بين الانسان ومحيطه القريب وحتى استكشاف محيط ثقافي غير مألوف لديه. كما وفقت الشبكة إلى حد بعيد في استحداث حلول عالية التقنية للترابط المثالي متزامن وغير المتزامن بين المواطن ومؤسساته الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية، والثقافية، كما مكنت من حفظ فحوى ذلك الترابط بشكل غير تقليدي كمادة رقمية مستديمة، يمكن تشاركها بين الأطراف المهتمة بالتفاعل عبر الشبكة إلى درجة أن أصبح حسب "ماكلوهان" McLuhan "محتوى أي وسيط بدوره وسيط لآخر". كما استطاعت شبكة الويب العالمية بكفاءة التسويق للفرص والحلول التي تعرضها في مجال الاتصال السياسي عن ما كان سائدا في الوسائط التقليدية كالراديو، الصحف، والتلفزيون.

وتكون بذلك شبكة الويب قد أوجدت مجال عام أكثر قوة من ما أنتجته تلك الوسائط التقليدية السابقة.[1]

مازالت البحوث العلمية تؤكد باستمرار قدرة شبكة الويب العالمية على استقطاب المواطن للتفاعل ضمن مجال عام سيبراني لامتناهي الحدود؛ يوفر مداخل متجددة باستمرار للولوج إليه، ومخرجات أكثر حشدا واستقطابا للأفراد والمؤسسات المهتمة بالتفاعل، وهو ما أسهم بشكل متسارع في ما اعتبره "نيكولا ف. جونسون" Nicola F. Johnson "نزيف الوجود" نحو ما اعتبره "جودي واكمان" "بمجتمع التسارع". لذلك تحاول هذه الدراسة كشف أهم الاسباب والقناعات توجه البشرية نحو الفضاء الافتراضي، الذي أستطاع من خلال وسائط رقمية متعاضدة ايجاد شبكات اجتماعية عالية الترابط رقميا؛ سميت بالمجتمعات الافتراضية.[2]

أهمية الموضوع:

أدى ابتكار شبكة الويب العالمية إلى تحولات عميقة في البيئة الاجتماعية، الاقتصادية، والسياسية للفرد، عن طريق ابتكار أساليب جديدة للوصول إلى المعلومة، وتقديم حلول كثيرة لتوزيعها بشكل مريح، وبشكل متزامن وغير متزامن، وبتكلفة أقل، كما ساهم صعود الوسائط الرقمية المنتشرة على شبكة الويب العالمية بشكل لافت للنظر في زيادة حجم تجميع المعلومات بشكل سحابي؛ وإعادة إرسالها من جديد إلى "تدفقات البيانات المتدفقة عبر مجرة الاتصالات

1 McLuhan Marshall, Understanding Media the Extensions of Man, The MIT Press, Cambridge, Massachusetts, 1994, p.52.

2 Nicola F. Johnson, Helen Keane,"Internet addiction? Temporality and life online in the networked society", Time & Society, Vol. 26, N°.3, April 2, 2015, pp. 267-285

المتوسعة." وبشكل غير تقليدي عبر مسافات طويلة. هذا التوسع اللامتناهي للرابط الرقمي أسهم في صعود فضاءات شبكية أعادت تعريف مفهوم الاحساس بالانتماء المشترك لمفاهيم كالمجتمعات الافتراضية، المواطن الشبكي، الحكومات الالكترونية، التجارة الالكترونية، وهي كلها فضاءات تنمو وتتطور بحسب حجم المعلومات المتبادلة على الشبكة، ومع النمو المتسارع لوسائط الاتصال الالكترونية، وأجهزة الحوسبة، ومعالجات المعلومات المركزية، الهواتف والألواح الذكية المستخدمة باستفاضة في حياة الانسان المعاصر.

اسس التوسع اللامتناهي لشبكة الويب العالمية عصرا رقميا غير مألوف نتيجة شيوع المقاربة التشاركية في صناعة المعلومة ذاتها، وإشاعتها بشكل متسارع ضمن "شبكات عمل اتصالية" رسيمة وغير رسمية. وهي العملية الاتصالية التي اصبحت تعتمد بشكل مكثف على تجميع المعلومات بشكل شبكي وإعادة إرسالها من جديد إلى "تدفقات البيانات المتدفقة عبر مجرة الاتصالات المتوسعة"، لمسافات طويلة وبشكل غير تقليدي؛ وفي وقت قصير. أطلق كل من "بينيت و سيجيربيرج" L. Bennett & A. Segerberg على الاتصال الذي تقوم عليه هذه المنظومة الاتصالية الحديثة "بالاتصال الفيروسي"، هذا النوع من الاتصال الذي نشهد اليوم تحوله المستمر إلى "اتصال وظيفي" وإلى "حتمية ناعمة" بتعبير "روبرت هيلبرونر" Robert Heilbroner.[3]

3 Langdon Winner, Autonomous Technology: Technics-out-of-Control as a Theme in Political Thought, The MIT Press, Massachusetts, 1978.

أدى تزايد الوصول السهل والمريح للشبكة إلى موجة من التنشئة الاجتماعية، السياسية، الثقافية، الاقتصادية، والتقنية التي أسست فضاء عام أصبح يحتضن باستمرار نقاش دائم وموسع للخيار السيادي، وبلورة الخبرة البشرية في العيش المشترك، وفي تأسيس ما أعتبره "أورايلي" O'Reilly "بالذكاء الجماعي" لتسريع عملية تحقيق الغايات التقنية والاجتماعية من الفضاء ذاته، أو حتى في بلورة "حكمة الجماهير" بتعبير "سيروفياتسكي" Surowiecki لتصور حلول لمشكلات العيش المشترك.[4] وهو المشهد المعياري الذي يؤسس بحسب "تييري فيديل" Thierry Vedel "مساحة عامة ذاتية التنظيم".

الاشكالية:

استطاعت الصناعات التقنية الرقمية من استحداث مساحات رقمية عالية التفاعل، وفضاء تشاركي معياري وبضمانات عالية في استمراره، أصبح يستقطب الحلول السهلة وعالية الأداء للتعبير عن الخبرات والثقافات الانسانية حول مواضيع متخصصة أو حتى مواضيع ثانوية وتشاركها ضمن حدود العيش المشترك. استطاع هذا الفضاء الرقمي في فترة قصيرة جدا الربط بين ما هو بشري والوسائط غير البشرية، وبذلك اعادة هندسة الترابط الاجتماعي، والعمل على تنشيطه بشكل تفاعلي غير مسبوق. هذا التقارب وحجم التفاعل بين تقنيات المعلومات والاتصالات والبشر أسس فعليا منظور جديد لدراسة ظاهرة الارتباط المتسارع بين الانسان وشبكة الويب العالمية كتقنية مهيمنة في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. لذلك تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء أكثر على الأطر البحثية النقدية الناشئة حول موضوع الأنماط والمقاربات التي تعتمد عليها

4 Surowiecki, J., The wisdom of crowds: Why the many are smarter than the few and how collective wisdom shapes business, economies, societies and nations, Little Brown, London, 2004.

الوسائط الرقمية المتعاضدة كعوامل غير بشرية في اعادة تشكيل روابط الاجتماعية على شكل شبكة معقدة، غير متجانسة، مضطربة ومستحدثة باستمرار. وفي تشكيل مساحات اتصالية ذاتية التنظيم سميت بالمجتمعات الافتراضية. وكذا قدرتها على تغيير مواقف وأراء الجماهير، وتغير ممارساتها، وحتى في اعادة بناء وتشكيل هوياتها من جديدة. ولمعالجة هذه الإشكالية لابد من طرح الاسئلة التالية:

1. هل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات مشروطة بحجم الوصول إليها؛ أم بكفاءة استغلالها؟
2. إلى أي مدى كان محقا "روبرت هيلبرونر" Robert Heilbroner في اعتقاده بأننا نعيش "حتمية تكنولوجية ناعمة".؟
3. إلى أي مدى ستنجح المجتمعات في فرض قواعد سيادية عامة للخيار الجماعي تساير التوسع اللامتناهي لشبكة الويب العالمية؟

الفرضيات العلمية:

1. لشبكة الويب العالمية حلول غير تقليدية في استقطاب الافراد والمجتمعات إلى هويات افتراضية مشتركة.
2. حجم التفاعل في الفضاء الافتراضي يحدد معالم المجال العام الافتراضي وقوته.
3. تكنولوجيا المعلومات والاتصالات "حتمية ناعمة" بتعبير جادل هايلبرونر.
4. شبكة الويب العالمية عامل تاريخي حاسم للتغيير السياسي من خلال تغيير الظروف التفاعل السياسي وتوسيع أفاقه.

المبحث الأول: نحو البحث عن اطار تفسيري لارتباط الانسان بشبكة الويب العالمية.

لا يزال النقاش الأكاديمي منخرطا بقوة في استكشاف الحدود النهائية للعلاقة بين الانسان وشبكة الويب العالمية، خاصة في ظل تزايد زخم الولوج للشبكة، والاعتماد المتزايد للبشر على مخرجاتها في يومياتهم للتملص من القيود والاكراهات المادية والطبيعية، والبحث عن وضعية مريحة للعيش، وتحقيق الرفاهية. يتأسس هذا المشهد المنشود للبشر على زخم من الوسائط التقنية المتعاضدة في وظائفها، والتي تعتمد بشكل متزايد في ترابطها على مستويات من الاتصال الشبكي السلكي واللاسلكي، التحكم عن بعد، التحكم الشبكي، الذكاء الاصطناعي. وهي كلها حلول مبتكرة قدمت عروضا اتصالية غير مسبوقة بين البشر وأدوات مبتكرة لتسهيل عيشه. بحيث أصبح للإنسان المعاصر إمكانية تشغيل كل التقنيات التي تسهم في عيشه المريح، أو حتى تلك التي تدخل ضمن أدوات نظامه النفعي عن بعد ودون لمسها حتى، وهو المشهد الاتصالي الذي كان يعتبر في زمن قريب من حياة البشر ضرب من الخيال العلمي. وهي الأطروحة التي كانت كذلك في الأربعينات من القرن الماضي حين قدم المهندس والمخترع الأمريكي "فانيفار بوش" Vannevar Bush مشروعه حول التحكم عن بعد بحلقة مغلقة ثلاثية الأطراف (الانسان، جهاز التحكم، الآلة).[5]

عرفت المجتمعات في العقود الأخيرة توظيف غير مسبوق لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات بشكليها، المنفصلة Off Line، أو عبر الخط On line في الأنساق الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية والثقافية، قصد تحقيق مستويات

5 فيلب ريجو، ما بعد الافتراضي: استكشاف جماعي للثقافة المعلوماتية، ت. عزت عامر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2009، صفحة 59.

عالية من الراحة والرفاهية ضمن الفضاء المشترك.[6] لذلك كان من الطبيعي جدا زيادة العمل على تعزيز التقارب بين نظريات علم الاجتماع السياسي وعلوم تكنولوجيات الاتصال نتيجة لنمو استخدام الوسائط الرقمية على شبكة الويب العالمية، أجهزة الحوسبة، معالجات المعلومات، الهواتف، الألواح الذكية في الحياة اليومية للإنسان المعاصر. هذا النمو الذي اصبح في فلسفة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات "بالتقليد الإنساني" بتعبير "كارل ميتشام" Carl Meacham زاد من مخاوف الدراسات النقدية في ان يتجاوز قدرة استيعاب البشر، وقدرتهم على التحكم فيه. خاصة وان العملية الاتصالية الشبكية أصبحت غير محددة النهايات، وبتالي غير محددة الأطراف الفاعلة في العملية، وهو ما يصعب من مأمورية تحديد حتى من "يعقد الشبكة" بتعبير "جولدسميث دونالد وكيتل".[7]

كشفت دراسة "شيري توركل" Sherry Turkle أن للشاشات الذكية المتصلة بالشبكة تأثيرات قوية على تكوين وصقل شخصية المراقب لها، بحيث تذهب اطروحتها إلى الجزم بأن للشاشات المرئية السائدة على الشبكة وما تعرضه من تفاعل قيمي، اخلاقي، هوياتي وعقدي تأثير قوي على منظومة القيم لدى الفرد المراقب لها. وهي التأثيرات التي تسهم بحسب "شيري توركل" في تنشئة "ذات ثانية"

6 المرجع نفسه، ص.59

7 Goldsmith, S., unlocking the power of networks Keys to High-Performance Government, brookings institution press Washington, Washington, 2009, p. 11.

تتبلور من خلال اتخاذ المراقب الشاشة المرئية مصدرا قوي وسهل لمعلوماته. لذلك تؤكد "شيري" في هذه المسألة بأن "للحواسيب أثر كبير في مكننة العقول".[8]

قد تدفع تأثيرات الشاشة المرئية بالبحوث العلمية مستقبلا إلى المزيد من الاستقصاء حول ما يمكن تسميته بالمجتمع الشبكي، المواطن الشبكي، والعمل على تقديم تفسيرات علمية غير اعتباطية اعتمادا على طرائق، ونماذج قياس لكيفية تشكل ذلك الاصدار الرقمي لهوية المجتمع والفرد، والبحث عن دوافع التوجه نحو هذا التفضيل. هذا التوجه الناشئ دفع بالبحوث العلمية نحو اعادة تأهيل مقارباتها ووحداتها التحليلية؛ لمستوى تكون فيه قادرة على استقصاء زخم الارتباطات السببية المتعاضدة التي تحتضنها شبكة الويب العالمية في حالتها التفاعلية، لا الساكنة؛ والابتعاد عن ما وصفه "جون الستر" Elster, Jon بالتفسير السببي القائم على "حصر ميزة معينة لحدث كسبب لحدث آخر"، أو بمعنى آخر الابتعاد عن "استعمال الدلالة سببية في حالتها غير التفاعلية لمنظومة سببية شديدة التفاعل" لضمان فهم مشترك للظاهرة، وبلوغ فيه الفصل الواضح بين الأطر التفسيرية والنتائج المراد تفسيرها.[9]

صحيح أن النقاش الأكاديمي في حصون العلوم الاجتماعية مازال منخرطا بقوة في استكشاف الحدود النهائية للعلاقة بين الانترنت والمجتمع. وقد استطاع تدويل مفاهيم جديدة كالمواطن الشبكي، المجتمع الشبكي، الهوية السبرانية، الفضاء الافتراضي، الثقافة السبرانية...الخ. وهي عبارات تحمل دلالات تقنية

8 Turkle, S., The Second Self: Computers and the Human Spirit, The MIT Press, Massachusetts, 2005, pp. 155-180.

- Holmes, D., Communication Theory Media, Technology, Society., SAGE Publications, London, 2005, p.54.

9 Elster , J., Explaining Technical Change: A Case Study in the Philosophy of Science, Cambridge University Press, Cambridge, 1983, pp. 25-26.

أضفيت كنعوت مقصودة أو صفات مؤهلة لمفاهيم تقليدية شابها من قبل الغموض حول حدودها النظرية والتشغيلية.[10] لكن هذه التعريفات المستحدثة من خلال هذا الفضاء المتعاضد بين المجتمع وشبكة الويب العالمية، قد لا تنشئ حقلا معرفيا جديدا بتعبير كل من "روبرت أ. ريزر ، دونالد بي إيلي" Robert A. Reiser & Donald P. Ely؟. بقدر ما "تعيد شرح حدوده، أهدافه، وأدواته لمن هم داخل المجال وخارجه"؟.[11]

لذلك لابد من التأكيد على أن خبرة العلوم الاجتماعية القصيرة نسبيا في استقصاء العلاقة بين المجتمع وشبكة الويب العالمية، لن تؤهلها لتصميم إشكاليات بحثية قوية حول ما اصبح متعارف عليه في الادبيات المتخصصة "بالمجتمع الشبكي" بمعزل عن هيمنة ذلك الارث الطويل من المقاربات المساقة في العلوم الاجتماعية حول المجتمع بمفهومه الكلاسيكي. لذلك فإن الحديث عن نموذج نظري يعتقد فيه الأهلية، القوة والتماسك في حل تعقيدات ظاهرة المجتمعات الشبكية مازال بعيد المنال. كما لم يستطع البحث العلمي تقديم مبررات كافية في ذلك؛ نتيجة اعتماده المفرط على تصميم نماذج نظرية تتأسس في الغالب على حجة وجود "أسباب أخرى تعتبرها في الغالب خارج التصور العام للنموذج النظري المنشود". وهو ما يقوض فعليا من حصافة الاطار التفسيري

10 عصام فاهم العامري، المأزق العالمي للديمقراطية: بلوغ نقطة التحول (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،2016)، ص.7.

- Philippe C. Schmitter and Terry Lynn Karl, « What democracy is ...and is not », journal of democracy, Vol. 2. N°. 3, summer 1991, p3.

11 Reiser R,, & Ely D., The Field of Educational Technology as Reflected Through Its Definitions, Educational Technology Research and Development, University of North Texas, Vol. 45, 1997, p.63.

للظاهرة محل النمذجة. ويعتبر في نفس الوقت "إخلاء للمسؤولية في الأطر التفسيرية" بتعبير كل من "هاغارد وكوفمان".

ربما تميل المقاربات السائدة في هذا الحقل المعرفي أكثر إلى أطروحة "مور" التي تؤكد بأن البحوث الاجتماعية ذاتها التي تسعى في بحثها عن السبب السببي تميل في الغالب إلى الابتعاد عن هاجس الوقوع في الفرضية المعدومة أو الصفرية Null Hypothesis (الفرضية القائلة بأن الظاهرة الموضحة غائبة في الواقع)[12]. لكن هذا التوجه العام لا يغفل حقيقة ضرورة التساؤل عن قدرة ما قدم من تفسيرات في موضوع المجتمع الشبكي على بلورة "نظرية اجتماعية عامة". ومدى قدرة البحوث الاجتماعية على تأكيد حضور المعايير الثلاث التي اشترطها "جون إلستر" Elster Jon في طرائق تصميمها للنظرية الاجتماعية العامة.[13]

أولا: قدرتها على تقديم تفسيرات سببية قائمة على مؤشرات قابلة للملاحظة والقياس لخيارات وتفضيلات الفرد، كنمط الاستهلاك الفرد على سبيل المثال، تكاليف عيشه، ومستوى دخله.[14]

ثانيا: قدرتها على تفسير الحالات الكلية اعتمادا على الفعل الفردي. ولتوضيح هذا المعيار رشح "تيوريل" في دراسته القيمة "غاية الرفاهية" كغرض فردي لتفسير حالة كلية هي "الانتماء للمجتمع"، بحيث يؤكد "تيوريل" أن غاية الرفاهية كانت دوما الدافع الحقيقي وراء "انتساب الفرد لأي شكل من أشكال

12 Moore, D., «Causal Exclusion and Dependent Overdetermination, Erkenn», vol.76, N°. 3, 2012, p.322.

(13) Elster, J., Op.,Cit., p. 86.

14 Jan Teorell, Determinants of Democratization Explaining Regime Change in the World, 1972–2006, Cambridge University Press, United Kingdom, 2010, p.27.

المؤسسات، أو المجتمعات، قصد تحقيق الانتفاع المادي وحتى المعنوي، الذي لا يمكن تحقيقه إلا بالانتساب للكل، وليس بالفعل الفردي الخالص".[15]

ثالثا: قدرتها على تفسير الرغبات والمعتقدات الفردية اعتماد على حالات كظواهر كلية. ولتوضيح هذا المعيار يقدم "جون الستر" مثالا عن التنشئة الاجتماعية كحالة كلية لها من الأثر الكبير على بلورة وصقل خيارات وتفضيلات الفرد، ولكن يشترط في ذلك الأثر أن يكون بقيم تجعل من الفرد عقلاني في تفضيلاته، ومستقل نسبيا عن الخيار الجماعي لا خاضعا لهيمنة الجماعة. فمن غير المعقول أن يتحمل الفرد عبئ تكاليف تلك الارتباطات الاجتماعية من أجل ضمان ديمومته فقط ضمن الجماعة، "ومن أجل تحسين مركزه التفاعلي".[16] بل الغرض من التنشئة الاجتماعية هو تمكين الفرد لمستوى من العقلانية تمكنه من الإستئثار بتفضيلاته الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية والثقافية، وتحيينها، وتأهيلها طبقا للزمان والمكان، وحمايتها من الطمس على التفاعل السياسي الهادف والمستقل[17].

هذا التصور العام للبحوث الناشئة في العلوم الاجتماعية تكشف بدرجة كبيرة مع أطروحة "The Logic of Collective Action" للعالم الاقتصاد الأمريكي "أولسن" Mancur Olson التي ناقشت مفهوم الصالح العام كخيار جماعي بمقاربة سوسيو-اقتصادية متميزة. والتي دافع فيها عن ضرورة التحول من العمل على

15 Ibid. p.27.

16 Elster, J. Op., Cit., p. 85.

17 Lucinan W. Pey, Aspects of political development, Boston Little and company, U.S.A., 1960, p p, 63-67.
- Guillermo O'Donnell and Philippe C. Schmitte, Transitions from Authoritarian Rule: Tentative Conclusions about Uncertain Democracies, The fohns Hopkins University Press, Baltimore, 1986, pp. 7-8.

إذابة تفضيلات الأفراد في مفاهيم تجريدية، كالصالح العام، الارادة العامة، والتي تشترط كمفاهيم في تأسيسها تقييد المشاركة الفردية بمساطر وإكراهات لضمان نجاح وانسجام العمل الجماعي ذاته، إلى مفاهيم محددة في غرضها، وانشطتها، وتكاليفها، وعائداتها النفعية. كما نصح "أولسن" بتوظيف مفهوم أكثر وضوحا هو "الشؤون العامة" Public Affairs كبديل إجرائي عن تلك المفاهيم اللامتناهية في التجريد، بحيث يستطيع الأفراد من خلال مفهوم الشؤون العامة "الاحتفاظ بمصالحهم الخاصة قدر مساهمتهم في المصلحة المشتركة".[18] وهو الطرح الذي يدعمه أيضا "سارتوري" بادعائه "أن سعي الفرد لذلك لا يجب ان يكون بمثابة تكلفة يجب تحملها من طرفه، بل يجب أن تعد كجزء من المنفعة إن لم تكن المكافئة ذاتها". وبذلك، يصبح الفرد ضمن هذه المنظومة "جزء من" بتحفظ، وفي حماية من أن يوضع موضع "التنفيذ بإرادة أخرى".[19]

المبحث الثاني: الولوج للفضاء الافتراضي: حتمية ناعمة أم تفضيل عقلاني؟.

مكنت شبكة الويب العالمية الفرد من ايجاد هوية مستقلة نسبيا في الفضاء الافتراضي، هوية غير مكشوفة للمجتمع كطرف ملاحظ أو مراقب، وهي المقاربة التي تحرره من اكراهات "تشكيل التفضيل التكيفي للعيش المشترك" بتعبير "جون الستر" Elster Jon.[20] كما مكنه الفضاء الافتراضي من حشد دعم لتفضيلاته عن طريق "استحضار وتضخيم مواقف الأعضاء والاتباع"، وتوسيع التأثير بشكل "فيروسي" بتعبير كل من "بينيت وسيجيربيرج L. Bennett & A.

18 Mancur Olson, The logic of collective action: Public Goods and the Theory of Groups (United States of America : Harvard University Press,1965, pp.,14-21

19 Giovanni Sartori, The Theory of Democracy Revisited, Chatham House Publishers INC., Chatham, 1987, pp., 113-161.

20 Elster J., Op., Cit., p.85.

" Segerberg لضمان تفاعله ضمن "شبكات عمل اتصالية" قد يعتبرها الفرد مجتمعه الافتراضي الذي يشاركه في "الغرض".[21]

قد يجادل البعض بأن هذا الطرح بمثابة الغلو في تأثير التقنية على البعد الانساني في السلوك البشر لكن الحقيقة تكمن في أن الفرد المتفاعل على الشبكة أصبح رهينة التفاعل فقط في قوالب مصممة باحترافية على الشبكة للتعبير عن مشاعره، اهتماماته، أفكاره، وحتى أنماط استهلاكه. وهي بمثابة اكراهات تقنية تدفع به إلى التكيف والتوافق المسبق مع الشروط والمساطر التشغيلية التي تفرضها تلك القوالب الرقمية، لتحقيق التفضيلات والغرض الذي يصبوا إليه من الولوج إليها.

من زاوية نقدية أخرى يمكن أن نعتبر ذلك التوجه التقني السائد في هندسة شبكة الويب العالمية بمثابة التقييد للحرية الفردية، بحجة أننا نتفاعل فقط من خلال خوارزميات عالية التعقيد، وبعيدة عن قدرة استيعابنا لها، تلك الصياغة الرقمية التي يتم اصدارها فنيا على شكل ثيمات، بإخراج فني محدد العرض، وتحدد فيه حتى احتمالات "المعلومات التي نراها أولا".[22] لذلك فإن التفاعل في الفضاء الافتراضي غرضي التوجه، يهدف بالدرجة الأولى إلى تضخيم المواقف

21 Guillermo O'Donnell and Philippe C. Schmitte, Op., Cit., pp. 7-8.

- Aaron Wildavsky, Democracy as a Coalition of Cultures, SOCIETY, 31,1993, p.80.

- Alexandra Segerberg & W. L. Bennett, The logic of connective action, Information, Communication & Society, Vol.15, N°.5, 2012, p.745.

22 William Housley, Society In The Digital age: An Interactionist Perspective, Sage Publications Ltd, London, 2021, pp. 6-86.

- Grigoryan N., It is not what we thought: New media and democracy: new media & society, Vol. 21, N°.9, 2019, pp.1403-1408.

والمعلومات وتمديدها بشكل فيروسي إلى مجموعات اتصالية لامتناهية العدد والحجم وتشاركها على نطاق واسع. لذلك تعتبر الشاشة المرئية المرتبطة بشبكة والويب العالمية اليوم تقنية مركزية في حياة الانسان المعاصر، لكنها غير محايدة بتعبير "كارل روجرز". بل ان تحقيق غايات البشر منها محكوم بمدى تقبلهم لما اعتبره "لانغدون وينر"Langdon Winner "بالتكيف العكسي" أي تعديل الغايات البشرية لتتناسب مع المساطر التشغيلية للتقنية المتاحة على الشاشة.[23] لذلك مازالت التجارب البشرية الحديثة؛ خاصة التجارب السياسية كالربيع العربي، والقضايا السياسية في العالم، تثبت بأن الحديث عن تصميم نماذج نظرية تأسس لقواعد شاملة وسيادية للخيار الجماعي على الشبكة، لا يمكن أن تكون مستقلة بأي شكل كان عن تعقيدات النظم التكنولوجية المتقدمة في الاتصالات، والوسائط الرقمية المتاحة على الشبكة، والحوسبة السحابية. لأن هندسة الخيار الجماعي في العصر الرقمي أصبح لا يمكنه بأي شكل من الأشكال التملص من الأحكام الفنية والبرمجيات المعدة مسبقا لذلك، والتي تعتبر بمثابة الشروط المسبقة للتفاعل على شبكة الويب العالمية.

تكتسب الوسائط الرقمية المتاحة للاستخدام أهميتها وتتحول إلى "الضروري" في يوميات الفرد بتصدرها نسق تفضيلاته في تلبية احتياجاته، وقدرتها على تمكينه أكثر لتحقيق تلك اللحظة المثالية والمرغوبة في العيش. وقد نعتقد بأن مزيج من الموارد البشرية وغير البشرية (التقنية) يحقق النجاعة في بلوغ تلك

23 Langdon Winner, Autonomous Technology: Technics-out-of-Control as a Theme in Political Thought, The MIT Press, Massachusetts, 1978. p. 229

- Karl Rogers, Participatory Democracy, Science and Technology: An Exploration in the Philosophy of Science, PALGRAVE MACMILLAN, Great Britain, 2008, p. 39.

العلاقة العضوية، لكن فلسفة تكنولوجيا الرقمية تؤكد غير ذلك، بحيث تصمم التقنية وتصنع في بيئة بعيدة كل البعد؛ وبشكل مستقل تماما عن القيم والخصوصيات المعيارية لمن سيستخدمها، وقد تنتج في الغالب قبل وجوده حتى، وهي الأطروحة التي تؤكد بأن علاقة التقنية بالمستخدم؛ قد لا ترقى لذلك المستوى من الارتباط العضوي، بقدر ما هو مجرد ارتباط انتقائي بمفهوم "جاك إليل" Jacques Ellul. والذي يتأسس على استهداف الفرد الشبكي ذاته كمستهلك، وتفاعله كمنتوج في كثير من الحالات. يتكشف هذا الارتباط الانتقائي بشدة في توجه العروض التسويقية للتقنية نحو التركيز على كيفية تضخيم عدد المستخدمين لضمان توسع رقمي أكبر، وفي كثافة توظيف مؤشرات التأثير لتحقيق أرقام قياسية في ما يسمى بالاقتصاد الرقمي.[24]

في أطروحته التفسيرية حول طبيعة الارتباط بين تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والمجتمع، أكد الفيلسوف الأمريكي "لانغدون وينر" Langdon Winner أن المنظومة التقنية السائدة أكثر تعقيدا من أن يستوعب المجتمع تصاميمها، طرائق تشغيلها، ونهاياتها المنشودة. وهي الوضعية التي يصنف فيها العلماء المجتمع "كمستهلك خامل"، يقتصر بحثه فيها عن كيفية الحصول على التقنية بأقل التكاليف، وكيفية تعظيم الانتفاع منها، دون البحث عن تقديم قيمة مضافة في ذلك، أو مناقشة مضامينها أو مخرجاتها.[25]

صحيح أن شبكة الويب العالمية وضعت الفرد والمجتمع ضمن "النهايات" المنشودة من تركيزها الاستراتيجي الهادف لتمديد الارتباط بين الموارد البشرية

24 Langdon Winner, Op., Cit., pp. 227-228.

25 Ibid., pp. 228-229.

وغير البشرية قصد توسيع استهلاك التقنية ذاتها. وهي الحقيقة التي دفعت "لانغدون وينر" Langdon Winner للمطالبة بإعادة تعريف مفهوم "استخدام الشبكة"، باعتباره دلالة يحمل "معنى مُتَضَمَّنٌ فيه وهو من جذر دالّ عليه"، كإرادة الحرة والمستقلة نسبيا للفاعل "للقيام بالفعل أو الإمتناع عنه". كما يكشف المفهوم في منطوقه عن صورة ايجابية عن منطق عقلاني في تشغيل الوضع.[26] وهي كلها معالم لصورة غائبة عن تلك "الحتمية الناعمة" في الارتباط بين الانسان والانترنت.

لذلك من المهم جدا التذكير بدعوة كل من "هـ. جينكينز ود. ثوربورن" H. Jenkins and D. Thorburn لإعادة "رسم المشهد البطولي للفضاء الإلكتروني بمساطر واكراهات مؤسساتية، حتى لا يختزل التفاعل الاجتماعي في مجرد "مشاورات بين أنظمة الكمبيوتر".[27] أو حتى لا ينتج الذكاء الحاسوبي ما اعتبرها Thierry Vedel "بآلات حاكمة". أو حتى لا يتم تصور الوسائط الرقمية السائدة على الشبكة بأنها "فواعل محتملون جدد" بعد نجاعتها في معالجة حجم لامتناهي من البيانات، "وتغلبها على العقلانية المحدودة لصانعي القرار في تقديم استنتاجات منطقية"، وتصميم توصيفات لوضعية المجتمع بهامش خطأ ضئيل.[28]

---

26 هادي حسن حمودي، النبي إبراهيم (عليه السلام) من مشارف الشك إلى مشارق اليقين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012، ص.188.

-احمد الحملاوي، كتاب شذا العرف في فن الصرف، دار الارقم بن ابي الارقم، بيروت، 2016، ص.33.

- Carole Pateman, Participation and Democratic Theory, Cambridge University Press, Cambridge, 1970, p.23.

27 See, D. Lyon, The Electronic Eye: The Rise of Surveillance Society, University of Minnesota Press, Minneapolis, 1994.

- Henry Jenkins and David Thorburn, Democracy and New Media, The MIT Press, Massachusetts, 2003, pp.102- 110.

28 Thierry Vedel, The Idea of Electronic Democracy: Origins, Visions and Questions, Parliamentary Affairs, Vol. 59, N°. 2, 2006, p. 226 .

المبحث الثالث: نحو اعادة تأهيل المواطن لعصر الفضاء السيبراني.

جذور ابتكار شبكة الويب العالمية يعود لجهود البحوث في الولايات المتحدة الأمريكية لابتكار حل غير تقليدي لمعضلة سياسية بامتياز. فبعد الحرب العلمية الثانية عمل البحث العلمي على مشروع ضمان بقاء شبكة الاتصالات كقطاع حيوي واستراتيجي في حالة تعرض البلاد لأسلحة الدمار الشامل. جاء الحل غير التقليدي لهذه المعضلة من فكرة "بول باران Paul Baran "الباحث في مؤسسة RAND في أوت 1964 بالتعاون مع "وكالة المشاريع البحثية الدفاعية المتقدمة (DARPA) "التابعة لوزارة الدفاع، الذي قدم مشروع منظومة اتصالية تتأسس على "روابط بسيطة ومتكررة"، تتشابك بعقد رقمية غير مأهولة، وهو ما يشكل في نهاية المطاف شبكة اتصالات موزعة بشكل لامتناهي أطلق عليها تسمية . ARPANET وهو الابتكار الذي تحافظ على حيوية الاتصال حتى وان استمر في تدمير العديد من روابطه الشبكية، وتدمير عقد التبديل فيه.[29]

هذه الشبكة التي تطورت عبر عقود من التحسينات التقنية إلى غاية بلوغها في بداية التسعينات من القرن الماضي الجيل الثاني من الشبكة "شبكة الويب العالمية التي امتازت عن الجيل السابق بأنها تفاعلية أو ما اصبح يصطلح على تسميتها بـ"الويب 2.0 " وهي المنصات التفاعلية التي اعيد توظيفها من جديد لحل معضلة سياسية أخرى "العزوف السياسي". بحيث شهدت العقود الأخيرة ارتفاع في مستويات العزوف السياسي، مما دفع الكثير من المختصين للتوجه نحو ما

29 Paul Baran, On Distributed Communications: Introduction To Distributed Communications Networks, T. R. Corporation Ed, California, 1964, pp. 3-34.

- Manuel Castells, The Rise of the Network Society, 2 Ed., B, Publishing, Ed, Oxford, 2010, pp. 7-45.

تقدمه شبكة الويب العالمية من حلول غير تقليدية لضمان اتصال سياسي سلس، متزامن وغير متزامن. ومن جهة أخرى توفر الشبكة مستويات قياسية من الحضور التفاعلي على تلك المنصات التفاعلية. لكن لابد من الاشارة هنا بأن توظيف السياسي لشبكات الاتصالية بمفهومها العام ليس وليد شبكة الويب العالمية، بل عرفها الفضاء العام من قبل مع شيوع استعمال التلغراف، واستعمال المذياع، والتلفزيون، وهو التاريخ من التطور الذي يؤكد بقوة أهمية شيوع التقنية ذاتها وقوة نفاذها في الجمهور من جهة، وحتمية وجود تصور سياسي عام بطرح قوي لوضعية المواطنة بتعبير "شميتر" من أجل تحقيق النجاعة الاتصالية في الارتباط بين عروض السياسية وتكنولوجيا الاتصال المقترحة لذلك.

اعتبر "يورجن هابرماس" السلطة "قدرة تقنية تنتج سيطرة على البيئة المحيطة بها".[30] في عصر تكنولوجيا الحوسبة الشبكية كان من الضروري التساؤل عن طبيعة تلك القدرة على زيادة تضخيم السيطرة من جهة، وكذلك التساؤل عن حجم اقتدار المواطنين على التفاعل في التداول الحر على قضايا الشأن العام، واقتدارهم على إيجاد وضعية عملية معيارية للشؤون العامة.

تميل أغلب الدراسات الاستقصائية في الموضوع أكثر لتأكيد أطروحة كل من "روبرت أ. ريزر، دونالد بي إيلي" Robert A. Reiser, Donald P. Ely في أن "التعريفات في هذا المجال لا تنشئ حقلا معرفيا جديدا، بقدر ما تعمل على شرح حدوده، أهدافه، وأدواته لمن هم داخل المجال وخارجه".[31] وهي الأطروحة التي تؤكد على ان البحث الدائم عن وسائط غير تقليدية للاتصال السياسي كان دوما

30 Thierry Vedel, Op., Cit., p. 227

31 Robert A. Reiser, Donald P. Ely, The Field of Educational Technology as Reflected Through Its Definitions, ETR&D, Vol., 45, No. 3, 1997, p. 63

لغاية ايجاد منطق تشغيلي حصيف لوضعية سياسية معينة، والبحث فيها عن وضعية معيارية لمفهوم المواطنة. لذلك كان من الضروري للحفاظ على مبدأ استمرار الاتصال السياسي المريح؛ تحيين المستمر التقنيات التي تساعد في ذلك، وفي نفس الوقت تحيين واعادة تأهيل المفاهيم المرافقة للعملية الاتصالية ذاتها.[32]

يتصدر مفهوم المواطنة المفاهيم المركزية في الاتصال السياسي الحديث، نتيجة التوسع المستمر لأدوار المواطن في الحياة السياسية الحديثة، وامتلاكه فيها أدوات سياسية حاسمة كالاقتراع العام، المراقبة السياسية، الاحتجاج السياسي. بل أصبح دور المواطن مفهوما اشكاليا في الاتصال السياسي الحديث، "ومتنازع عليه بشدة" بتعبير Heater، نتيجة تكيفه المضطرب مع تطور الاجتماع السياسي ذاته، والوسائط التقنية التي يستخدمها في بلورة وضعيته السياسية المنشودة.[33] لذلك يؤكد كل من "هنري جينكينز وديفيد ثوربورن" H. Jenkins and D. Thorburn أن عملية "دمج الوسائط الرقمية الجديدة في الحياة السياسية تحتاج فعليا إلى اعادة استصدار نسخة جديدة من مفهوم المواطن ذاته"، واعادة شرح حدوده، أهدافه، والأدوات التي تمكنه من الولوج "لديمقراطية المعلومة" التي تركز على مفهوم المواطن الشبكي، وعلى زخم تفاعله الشبكي.[34]

32 Thierry Vedel, Op., Cit., p. 227

33 Giovanni Navarria, « Can Democracy Survive the Rise of Surveillance Technology?", Democratic Theory, Vol. 1, Iss. 2 (Winter 2014), p. 78.

34 Henry Jenkins and David Thorburn, Democracy and New Media, The MIT Press, Massachusetts, 2003, p.50.

اضيف مصطلح الشبكي لمفهوم المواطن كنعت مقصود يحمل "معنى مُتَضَمَّنٌ فيه وهو من جذر دالّ عليه"[35]. هذه الصفة التي أريد بها اعادة تعريف المفهوم الكلاسيكي للمواطن ضمن فضاء عام جديد وضعت معالمه شبكة الويب العالمية، والوسائط الرقمية المعاصرة. لكن هذا التصور لا يكتمل إلا بموافقة الجهات السياسية وقبولها التفاعل على الشبكة، والتفاعل حتى مع الجهات المحتمل ولوجها للشبكة، من أفراد، مؤسسات رسمية، غير رسمية، محلية، دولية، وحتى "ذكاء الصناعي الشبكي" كطرف غير بشري محتمل. [36]

أضيف رأي إلى رأي الكثير من الباحثين في أن النقاش النقدي لمخرجات ادخال الوسائط الرقمية للعملية السياسية يستدعي الافتراض المسبق بوجود مساواة في الولوج إلى الشبكة، والحق في التفاعل، وحتى في ما يمكن تسميته "بالاسيغوريا Isegoria الرقمية" أي "الحق المتساوي في الكلام "على منصات الشبكة الرقمية وهي مسائل كلها مركزية لتقييم الممارسة السياسية الإلكترونية.[37] لكن النقاش الجاد حول سبل تعزيز مطارحة الرأي في الفضاء السيبراني يجب ان لا تكون خارج الاهتمام عن من يشارك عبر الإنترنت، والاهتمام أكثر بالفجوة الرقمية بين حجم الولوج إلى شبكة الويب العالمية، والتفاوت في

35 هادي حسن حمودي، المرجع السابق، ص. 188.

36 Giovanni Navarria, the Networked Citizen Power, Politics, and Resistance in the Internet Age, Palgrave Macmillan, Singapore, 2019.

37 المفهوم الأثيني "اسيغوريا" Isegoria؛ يعبر عن الحالة المثالية للكلام والنقاش العام الذي عرفه المشهد الديمقراطي الذي كانت تحتضنه الجمعية الحاكمة بالمكان المسمى "اكليسيا"Ekklisia على تلة "البنيكس" Pnyx. للمزيد من التفصيل أنظر:

- Lewis J. D., "Isegoria at Athens: When Did It Begin?", Historia: Zeitschrift für Alte Geschichte, Bd. 20, H. Vol.,2, N°.3, pp, 1971, 129-140.

مستويات التمكين الرقمي.[38] وهو الاهتمام الذي يجيب في جزء منه عن الاشكالية التي عالجها المؤتمر العالمي الذي احتضنته مدينة "نيميغن" بهولندا في أكتوبر 2002: "بأي طريقة وإلى أي درجة يمكن للشبكات الإلكترونية أن تساهم في مواطنين أكثر استنارة ونشاطًا سياسيًا؟".[39]

تأتي هذه التساؤلات لتكشف تطور مفهوم الفجوة الرقمية ذاته، ذلك المفهوم الذي كان في الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي يحمل دلالات تشير إلى عدم قدرة الفرد على امتلاك المنتوج النهائي للتقنية أو على الأقل لمظهرها المادي كجملة من المهارات الفنية. أصبح يشير في العقود الأخيرة إلى فجوة الرقمية من مستوى آخر، حين لا يستطيع الفرد امتلاك الكفاءة في الانتفاع الجيد من تلك التقنية، وهي الوضعية بين امتلاك الفرد للتقنية كوحدة إدخال بالتعبير النسقي، "والبحث عن الحد الأقصى من المخرجات لكل وحدة إدخال"[40]

كلما زاد نمو الوصول إلى أجهزة الحواسيب والوسائط الذكية من هواتف، وألواح ذكية، التي هي في تطور بشكل متسارع في قوة معالجتها للمعلومات، وقوة ربطها بالشبكات (البشرية على بوابة الدخول إلى الجيل الخامس من الشبكات G5) كلما زاد المجال العام الافتراضي في التوسع على المستوى العمودي والافقي لتحقيق عملية اتصالية غير تزامنية، وزيادة الفرص الترابط الشبكي للفاعل

38 Lori M. Weber & Sean Murray, "Interactivity, Equality, and the Prospects for Electronic Democracy: A Review", In: Peter M. Shane ed., Democracy Online The Prospects for Political Renewal Through the Internet, ROUTLEDGE, New York and London, 2004, pp.95-98.

39 Nicholas W. Jankowski, Introduction to Theme Issue: Electronic Networks and Democracy, Communications, Vol. 28, N°.02, 2003, p.103.

40 Langdon Winner, Autonomous Technology: Technics-out-of-Control as a Theme in Political Thought, The MIT Press, Massachusetts, 1978. p. 229

الرقمي. وهو ما يؤسس فعليا مفهوم جديد "المجتمعات الافتراضية"، التي يعرفها "تييري فيديل" Thierry Vedel "بالتجمعات الاجتماعية التي تظهر من الإنترنت عندما يواصل عدد كاف من الناس المناقشات العامة لفترة كافية، وبشعور إنساني كاف، لتشكيل شبكات من العلاقات الشخصية في الفضاء السيبراني".[41] هذه المجتمعات تحدد هويتها بحسب كل من "بينيت وسيجيربيرج" Bennett & Segerberg "من خلال مشاركة التعبير الشخصي ونشره على نطاق واسع، وليس من خلال مجموعة مشتركة أو تحديد أيديولوجي". ويتحكم بحسبهما في هذا التشكيل نقطتين اساسيتان.

أولا: التخصيص الذي يصطفي بدوره اجراءات، ووسائط رقمية بعينها لتحقيق الفعل الاتصالي.

ثانيا: طبيعة المحتوى والقدرة على تسويقه على نطاق واسع عبر الشبكات. وهو ما يمكن اعتباره تحول في البنية ذاتها لمفهوم المجتمعات، أي التحول من مجتمعات تقوم هويتها على مدى تماسك وانسجام الجماعة وانغلاقها، إلى مجتمعات مركبة تجمعها روابط اعتبارها Granovetter "بالضعيفة" غير القارة، تتأسس على مواقف وأراء مضطربة، تتوسع بشكل "فيروسي"، ودائمة التنقل بين المشاهد الاجتماعية، الاقتصادية والسياسية.[42]

تعتبر شبكة الويب العالمية وما تحمله من حلول غير تقليدية لتوسيع البعد التشاركي وبشكل متسارع وبمنظور لامتناهي فرصة تاريخية لإعادة ربط العلاقات

41 Thierry Vedel, Op., Cit., p. 229

42 W. Lance Bennett & Alexandra Segerberg, The logic of connective action, Information, Communication & Society, Vol. 15, No. 5, June 2012, pp. 744-760.

- David Holmes, Communication Theory Media, Technology, Society, SAGE Publications, London:, 2005, p. 195.

الاجتماعية، أو توسيعها لأفراد ومجموعات خارج كيانات الانتماء التقليدية، تلك الكيانات التي مازالت روابطها تتشتت بشكل متسارع بزيادة ضرورات التوسع لأبعاد جغرافية جديدة.[43] هذه الفرصة تتأسس في المستوى الأول على قوة الوسائط الرقمية التي تحتضنها الشبكة في اعادة تعريف الانتماء ذاته، وفي المستوى الثاني وبشكل حاسم على مستوى الانتماء لتلك "الشبكات الاتصالية" التي تتأسس على البعد تشاركي للتقنية، والتوزيع الشبكي للفحوى الإتصالي، وهي الميزة التنافسية القوية التي تتفوق بها المجتمعات الافتراضية على المجتمعات التقليدية التي تميل أكثر إلى الهوية كمورد ثقة من "الموارد المطلوبة للاستجابة بشكل فعال للفرص".[44] لذلك اعتقد أنه من الضروري على الدراسات العلمية المهتمة بالعلاقة بين الانسان والتقنية ومخرجات ذلك الترابط الاهتمام أكثر بطبيعة العمل الجماعي في هذا الفضاء السيبراني الاجتماعي الناشئ.

في اعادة تعريفهما لمنطق العمل الجماعي على الشبكة الالكترونية انتهجا كل من "لانس بينيت وألكسندرا سيجيربيرج" Lance Bennett & Alexandra Segerberg نفس مقاربة عالم الاقتصاد الأمريكي "أولسن Mancur Olson "التي حملتها دراسته سوسيو. اقتصادية المتميزة ."The Logic of Collective Action" والتي دافعت عن ضرورة التحول من العمل على إذابة المصالح الخاصة للأفراد في مفاهيم تجريدية، كالصالح العام، الارادة العامة، الخير العام، إلى مفاهيم محددة في غرضها، وانشطتها، وتكاليفها، وعائداتها النفعية. كمفهوم "الشؤون العامة "

43 Manuel Castells, The Rise of the Network Society, 2 Ed., B, Publishing, Ed, Oxford, 2010, p.97.

44 Bennet and Segerberg, Op., Cit., p.750

Giovanni Navarria, Can Democracy Survive the Rise of Surveillance Technology?, Democratic Theory, Vol. 1, N°. 2, Winter 2014, p. 79.

Public Affairs. بحيث يستطيع الأفراد ضمن مفهوم الشؤون العامة "الاحتفاظ بمصالحهم الخاصة قدر مساهمتهم في المصلحة المشتركة". كما لهذا المفهوم بتعبير "كوهن" معيار دلالة قوي يميزه عن باقي المفاهيم التي تقارب في معناها الفعل الجماعي، التعاوني، التضامني، الإرادة العامة، والعمل الجماعي Collective Action.[45] لذلك جاءت أطروحة كل من لانس بينيت وألكسندرا سيجيربيرج Lance Bennett & Alexandra Segerberg بأن الانترنت تحمل من وسائط رقمية قد تسهم في تصميم تنظيم مبتكر يختلف عن تلك المفاهيم المجاورة للعمل الجماعي المرهون أساسا بدور الموارد والهوية الجماعية. ويعمل على تثمين الفردانية في صناعة المعالم الحقيقية للمجتمع الشبكي، بحيث لا يعتبر تفاعل الفرد فيه "بمثابة تكلفة يجب تحملها من طرفه، أو من طرف الجماعة لضمان سلامة مواطنته، بل يجب أن تعد كجزء من المنفعة إن لم تكن المكافئة ذاتها"، وتصبح المشاركة الفردية ضمن هذه المنظومة السياسية المبتكرة، بعيدة كل البعد على أن تعتبر "جزء من"، أو أن توضع موضع "التنفيذ بإرادة أخرى".[46] يسمي كل من "لانس بينيت وألكسندرا سيجيربيرج" هذا المبدأ الهيكلي المختلف "منطق العمل الاتصالي" Connective Action.[47]

الخاتمة:

45 Mancur Olson, The logic of collective action: Public Goods and the Theory of Groups, Harvard University Press, United States of America,1965, p.p.,14-21.

-Jacob Cohen, Statistical Power Analysis for the Behavioral Sciences, 2 edi., Lawrence Erlbaum Associates, Publishers? United States of America, 1988, p.2.

46 Giovanni Sartori, Op. Cit., pp.113-161.

47 W. Lance Bennett & Alexandra Segerberg, Op. Cit., p. 760.

مازال المجتمع العلمي في حالة من الاستقصاء المتأني والمستمر للنتائج المحصل عليها من التجارب والاختبارات التي تقودها برامج البحوث العلمية حول تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الحديثة؛ وما أوجدته من بيئة افتراضية على شكل "شبكات عمل اتصالية" لامتناهية الحدود. نتيجة تمددها الدائم بزيادة الولوج المستمر للأفراد والمؤسسات الجالبين معهم خبراتهم، اهتماماتهم، تفضيلاتهم، مشاكلهم، وحلولهم الفردية والجماعية.

إن الجانب المهم في هذه المقاربة الجديدة من العيش المشترك يتمثل في قدرة الفاعلين الجدد على مشاركة ونقل موضوع تفاعلهم، ومواقفهم على نطاق واسع عبر أرضيات رقمية شبكية، وبمستويات عالية، وبضمانات قوية للاستمرار الفعل التشاركي فيها. فعليا شكلت هذه التوليفة التقنية والبشرية "مساحة عامة ذاتية التنظيم" بتعبير "تييري فيديل" Thierry Vedel. مثلت الإصدار الرقمي للمجتمع الحقيقي بمسمى المجتمع الافتراضي، الذي تصبح فيه العلاقات الاجتماعية، علاقات شبكية، وتصبح فيه عملية اصدار المعلومات، إعادة تحريرها، تسويقها، مشاركتها سهلة وبسيطة وبشكل موسع. وهي كلها حلول تقنية تجعل منها مصدرا لقوة المجتمع الافتراضي، وفي نفس الوقت أهم "أدواته الانتاجية" لضمان استمراريته حسب "مانويل كاستل" Manuel Castell.

لم تقف شبكة الويب العالمية عند كونها حاضنة تقنية فقط للتطبيقات والبرامج التفاعلية لتحرير المعلومة، تسويقها، والتعليق عليها، بشكل متزامن وغير متزامن، بل نجحت شبكة الويب العالمية أيضا في إصدارها الثاني "الويب Web 2.0" في هندسة فضاءات افتراضية تستقطب جماهير متنوعة سياسيا، ثقافيا،

وعقائديا، وجغرافيا، وبلوغ مستويات عالية في معالجة المعلومات الضخمة الواردة من كل مجالات الحياة بحوسبة سحابية Cloud Computing، ومشاركتها بشكل "فيروسي" بتعبير كل من "بينيت و سيجيربيرج L. Bennett & A. Segerberg " بين الأطراف المهتمة بالتفاعل.

هذا التوجه غير التقليدي نحو التشاركية في الخبرة الانسانية شكل شبكات وتحالفات افتراضية وهويات رقمية قوية، وأسست بحسب "أورايلي"O'Reilly قاعدة موسعة "للذكاء الجماعي"، وحاضنة خصبة "لحكمة الجماهير" بتعبير "سيروفياتسكي" Surowiecki. لذلك ليس من الغريب أن تعتبر الأدبيات العلمية شبكة الويب العالمية بمثابة "ثورة اجتماعية كاملة الأركان".[48]

في العقود الأولى من القرن الواحد والعشرين اشتد الجدل حول اعادة تعريف مفهوم الفجوة الرقمية الذي كان سائدا على الأقل في الثمانينات والتسعينات، ذلك المفهوم الذي كان يشير إلى تعذر الوصول إلى المنتوج النهائي للتقنية أو على الأقل لمظهرها المادي كجملة من المهارات الفنية. لكن تطور المجتمعات الحديثة وسهولة بلوغها لشبكة الويب العالمية بأقل تكلفة، فتح النقاش من جديد حول مفهوم آخر للفجوة الرقمية؛ لا يستطيع الفرد فيه امتلاك الكفاءة في الانتفاع الجيد من تلك التقنية، وهي الوضعية بين امتلاك الفرد للتقنية كوحدة إدخال بالتعبير النسقي، "والبحث عن الحد الأقصى من المخرجات لكل وحدة إدخال". وهو الإعضال الذي يضع مفهوم "الكفاءة" في الميدان التقني في اعادة تعريف بشكل لامتناهي ليتكيف مع التطورات الحاصلة في عالم التقنية.

48 Ralf , L., Georg , A., & Leonhard , H., Electronic Democracy in Europe Prospects and Challenges of E-Publics, E-Participation and E-Voting, Springer International Publishing, Switzerland, 2016, p. 42

إن تصميم المعلومة في هذا العصر المتميز، وهندسة طرق تمديد تدفقها على الشبكة، والوسائط الرقمية النقالة لها، أو التي تحتضنها، وتطوير أنماط جديدة للارتباط. كلها مؤشرات قوية لإنتاج سلطة من نوع خاص "سلطة ذات قدرة تقنية عالية تنتج سيطرة على البيئة المحيطة بها" بتعبير "يورجن هابرماس". لكن التجربة القصيرة في شيوع تلك السلطة كشفت على حقيقة أن تلك السلطة لن تكتمل اركانها بمعزل عن ضرورة وضع المهتمين بالتفاعل في مستوى من الكفاءة، من أجل اقتدارهم على الانتفاع الجيد والعقلاني من مخرجات شبكة الويب العالمية.[49]

صحيح أن المجتمعات تنعت بأقاليمها، أنماط عيشها، ولكن بشكل حاسم بأدوات انتاجها. وفي هذا الصدد امتازت المجتمعات الافتراضية بأدوات انتاج رقمية اصبحت تمثل سمتها الأساسية بامتياز. تمثل دورها الأساسي في اصدار المعلومات وتسويقها على شكل سلع وخدمات رقمية، وهو ما أسهم فعليا في تأسيس نظام نفعي خاص بها؛ شكلت ملامحه بزوغ روابط قوية بين جمهور لامتناهي من المستهلكين على الشبكة، وقوى استطاعت إستئثار وتوظيف أحسن الموارد التنافسية المتاحة، وأكثرها ارضاء للباحثين عن مقاربات جديدة للتحقيق الرفاهية في العيش وبأقل تكلفة. لكن روح هذا التوسع اللامتناهي لهذا النظام النفعي على شبكة الويب العالمية يكمن بحسب "فانهانين" Vanhanen في أن "موارد السلطة فيه موزعة على نطاق واسع، بحيث لا يسمح لأي مجموعة مهتمة

49 Henry Jenkins and David Thorburn, Democracy and New Media, The MIT Press, Massachusetts, 2003, pp.08- 20.

بالتفاعل من قمع منافسيها أو الحفاظ على هيمنتها". وأن رأس المال السائد على الشبكة تحميه معادلة بثلاثة متغيرات (حرية، ابتكار، نمو).[50]

قائمة المراجع:

1. كتب باللغة العربية:

1. احمد الحملاوي، كتاب شذا العرف في فن الصرف، دار الارقم بن ابي الارقم، بيروت، 2016.
2. فيلب ريجو، ما بعد الافتراضي: استكشاف جماعي للثقافة المعلوماتية، ت. عزت عامر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2009.
3. هادي حسن حمودي، النبي إبراهيم (عليه السلام) من مشارف الشك إلى مشارق اليقين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012.

2. كتب باللغة الأجنبية:

1. Carole Pateman, Participation and Democratic Theory, Cambridge University Press, Cambridge, 1970, p.23
2. D. Lyon, The Electronic Eye: The Rise of Surveillance Society, University of Minnesota Press, Minneapolis, 1994.
3. David Holmes, Communication Theory Media, Technology, Society, SAGE Publications, London:, 2005.
4. Elster , J., Explaining Technical Change: A Case Study in the Philosophy of Science, Cambridge University Press, Cambridge, 1983.
5. Giovanni Sartori, The Theory of Democracy Revisited, Chatham House Publishers INC., Chatham, 1987.

50 Tatu Vanhanen, Prospects of democracy: A study of 172 countries, Routledge Kegan Paul, New York, 1997, p. 24.

- JULIE E. , C., Between Truth and Power: The Legal Constructions of Informational Capitalism, Oxford University Press, United States of America, 2019, p. p. 172.

6. Giovanni Navarria, The Networked Citizen Power, Politics, and Resistance in the Internet Age, Palgrave Macmillan, Singapore 2019.
7. Goldsmith, S., unlocking the power of networks Keys to High-Performance Government, brookings institution press Washington, Washington, 2009.
8. Guillermo O'Donnell and Philippe C. Schmitte, Transitions from Authoritarian Rule: Tentative Conclusions about Uncertain Democracies, The fohns Hopkins University Press, Baltimore, 1986.
9. Henry Jenkins and David Thorburn, Democracy and New Media, The MIT Press, Massachusetts, 2003.
10. Holmes, D., Communication Theory Media, Technology, Society., SAGE Publications, London, 2005.
11. Jacob Cohen, Statistical Power Analysis for the Behavioral Sciences, 2 ed.., Lawrence Erlbaum Associates, Publishers, United States of America, 1988.
12. Jan Teorell, Determinants of Democratization Explaining Regime Change in the World, 1972–2006, Cambridge University Press, United Kingdom, 2010.
13. JULIEC., Between Truth and Power: The Legal Constructions of Informational Capitalism, Oxford University Press, United States of America, 2019.
14. Karl Rogers, Participatory Democracy, Science and Technology: An Exploration in the Philosophy of Science, PALGRAVE MACMILLAN, Great Britain, 2008.
15. Langdon Winner, Autonomous Technology: Technics-out-of-Control as a Theme in Political Thought, The MIT Press, Massachusetts, 1978.
16. Lori M. Weber & Sean Murray, "Interactivity, Equality, and the Prospects for Electronic Democracy: A Review", In: Peter M. Shane ed., Democracy Online

The Prospects for Political Renewal Through the Internet, ROUTLEDGE, New York and London, 2004.

17. Lucinan W. Pey, Aspects of political development, Boston Little and company, U.S.A., 1960.
18. Mancur Olson, The logic of collective action: Public Goods and the Theory of Groups (United States of America : Harvard University Press,1965.
19. Manuel Castells, The Rise of the Network Society, 2 Ed., B, Publishing, Ed, Oxford, 2010.
20. Paul Baran, On Distributed Communications: Introduction To Distributed Communications Networks, T. R. Corporation Ed, California, 1964.
21. Ralf , L., Georg , A., & Leonhard , H., Electronic Democracy in Europe Prospects and Challenges of E-Publics, E-Participation and E-Voting, Springer International Publishing, Switzerland, 2016.
22. Tatu Vanhanen, Prospects of democracy: A study of 172 countries, Routledge Kegan Paul, New York, 1997.
23. Turkle, S., The Second Self: Computers and the Human Spirit, The MIT Press, Massachusetts, 2005.
24. William Housley, Society In The Digital age: An Interactionist Perspective, Sage Publications Ltd, London, 2021.

3. دوريات باللغة الأجنبية

1. Aaron Wildavsky, Democracy as a Coalition of Cultures, SOCIETY, 31,1993.
2. Alexandra Segerberg & W. L. Bennett, The logic of connective action, Information, Communication & Society, Vol.15, N°.5, 2012.
3. Giovanni Navarria, Can Democracy Survive the Rise of Surveillance Technology?, Democratic Theory, Vol. 1, N°. 2, Winter 2014.

4. Grigoryan N., It is not what we thought: New media and democracy. new media & society, Vol. 21, N°.9, 2019
5. Lewis J. D., "Isegoria at Athens: When Did It Begin?", Historia: Zeitschrift für Alte Geschichte, Bd. 20, H. Vol.,2, N°.3, pp, 1971.
6. Moore, D., «Causal Exclusion and Dependent Overdetermination, Erkenn», vol.76, N°. 3, 2012.
7. Nicholas W. Jankowski, Introduction to Theme Issue: Electronic Networks and Democracy, Communications, Vol. 28, N°.02, 2003.
8. Philippe C. Schmitter and Terry Lynn Karl, « What democracy is ...and is not », journal of democracy, Vol. 2. N°. 3, summer 1991.
9. Reiser R,, & Ely D., The Field of Educational Technology as Reflected Through Its Definitions, Educational Technology Research and Development, University of North Texas, Vol. 45, 1997.
10. Robert A. Reiser, Donald P. Ely, The Field of Educational Technology as Reflected Through Its Definitions, ETR&D, Vol., 45, No. 3, 1997.
11. Thierry Vedel, "The Idea of Electronic Democracy: Origins, Visions and Questions", Parliamentary Affairs Vol. 59 No. 2, 2006.
12. W. Lance Bennett & Alexandra Segerberg, The logic of connective action, Information, Communication & Society, Vol. 15, No. 5, June 2012.